كيف تآمروا على الربّ ومسيحه ؟

ما هي المشورة الأزلية ؟ ما هي الأرواح الثلاثة التي تشبه الضفادع ؟ كيف أصبح التنين أو الحيّة القديمة إله هذا الدهر ؟ وكيف استوى على العرش في هيكل الله ؟

حدثت حرب في السماء، ميخائيل (مثيل الله) وملائكته حاربوا التنين (الشيطان) وملائكته ونزك الشيطان إلى الأرض وبه غضب عظيم لأنّه لم ينجح في تنفيذ مطمعه بإلغاء شريعة الله زاعماً بأنّ الملائكة طبقة رفيعة سامية لا تحتاج أن تلتزم بناموس يحدّ من حرّيتها لأنّ « نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ (كمشرّعه) يَرُدُّ النَّفْسَ (الضالة) شهادات الربّ صادقة (لا تناسب أبي الكذاب) تصيّر الجاهل حكيماً» (مزمور١٩: ٧). وكان لوسيفر الكروب المظلل أوج الحكمة والكمال والجمال والبهاء وقد أسبغ الربّ المنّان عليه كل صنوف البركات وضروب النعم وجعله الكروب المظلّل على العرش السماوي منذ البدء. هو طاعن في القدم ولا مخلوق غيره نال من المواهب والمقدرة ما حظي به لوسيفر زهرة بنت الصبح. ولأنّ ستارته كانت من كل حجر كريم فقد بزّ رفاقه في كل شيء. ولسوء الطالع أنّ سرّ الإثم عمل بدهاء ومكر وخديعة واختار الرذيلة بدل الفضيلة والنقص المزري بدل الكمال ولجأ إلى العصيان بدل الطاعة.

حشد ذلك الملاك العظيم الجبار كلّ طاقاته لتجنيد أكبر عدد من الملائكة لحرب ضروس مع نسل المرأة (الربّ يسوع) مستغلاً محبّة الله لكي ينفث سمّ الكراهية فهو يضادّ كل القيم النبيلة والمثل العليا وقابل الصلاح بالطلاح والتقوى بالفجور والعفّة بالدنس والطهارة بالنجاسة والتواضع بالكبرياء والصداقة الحميمة بالعداوة الذميمة والحلال المبين بالحرام المشين والعدل بالظلم والثقة بالشكّ. وكما تمرّد في السماء قاد أبوينا الأولين في العصيان فسقطا في الخطية وتزعزع إيمانها بخالقها ووليّ نعمتهما فتوجّسا خيفةً منه وتزعزعت ثقتهما فيه. ثمّ حدث الانفصال والقطيعة بين المخلوق والخالق ولأنّ أجرة الخطية هي موت فقد بدأ الفساد يسري في شرايين المخلوقات كافّةً واستشرت الشراسة بين الكائنات وسفك النمر دم الغزال وهجم الذئب على قطعان الغنم وخطف الصقر الحمائم الوديعة وذبل ورق الشجر وأفسد السوس المحاصيل وتلوّثت الطبيعة النقيّة ودبّ العطب في ثمر الحقل وأنهكت تعدّياتُ الشرائع السماوية النبيلة ودسائسُ الشيطان الإنسان والطيرَ والحيوان.

وحيث أنّ حكمة الله وكماله ومحبّته لا يعتريها أي نقص ولا تشوبها شائبة، فقد قضت المشورة الأزلية للآب والإبن والروح القدس بخطّة الفداء العظيمة لانتشال الإنسان، إن هو أراد، من وهدة الخطيّة وتحريره من قبضة إبليس عدو الله والإنسان. بدون سفك دم لا تحصل مغفرة، لكنّ الجرم خطير جداً والخطية عمّت الخليقة وأصبحت خاطئةً جداً والتعدّي جاوز كل حدّ، فما أفدح التكلفة وما أعظم التضحية وما أكملَ النعمة اللازمة لإصلاح هذا الخرق العظيم، لنسق الكون الجميل الذي أبدعه الخالق الكامل!! ولا أقلّ من أن يتنازل الإله الكامل بكل جبروته وصلاحه لكي يغطّي هذا التعدّي الخطير، ولا بدّ من أن يكون الفادي المتطوع ذا رصيدٍ عارمٍ من الكمال والقدرة والقداسة ليمحو النجاسة لكلّ الجنس البشري في كلّ العصور وليخلّص جميع المخلوقات من إنسانٍ وحيوانٍ وجمادٍ حتى يعيد بهاء الفردوس المفقود إلى عهده الأول وحتّى يسكن البرّ في الفردوس المردود، وحتى يرجع الابن الضال (الكرة الأرضية) إلى كنفِ الآب السماوي ويستأصل البارُّ شأفة (أصل) الإثم والعار التي دنّست كون الله الطهور.

وذبح الربّ الحمل البريء ليدفع ثمن الخطية الفعلية وكم كانت الضريبةُ باهظةَ التكاليف على الإنسان لكلّ خطيئة يقترفها مهما كانت بسيطة .. حملاً بلبن أمّه بلا عيب يُذكر وإن عزّت عليه هذه التضحية فليقدّم زوجاً من الحمام أو اليمام ويعترف بخطاياه ويقرّ بأنّ خطيّته سوف تسبّب الآلام المبرحة لهذا الحمل البريء كما سوف تسبّب الآلام مستقبلاً لحمل الله الذي سيرفع خطايا العالم!

ولكن كيف يعمل الشيطان في فكر الإنسان لكي يقوّض سلطان الله ويمحوه، إن استطاع، من مخيّلة البشر ؟ إنّ دهاء وخبرة الشيطان الطاعن في القدم والضالع في حياكة الأحابيل والدسائس لأحقاب دهرية طويلة الأمد مع عبقريّة فذة وحكمة مستطيرة وتمرّس ضافٍ كبحر خضمّ في التجارب الشرّيرة والمدسوسة بذكاء لا يُبارى ولا يُضارع وتفانٍ مضنٍ في تكريسٍ لا يعرف الكلل أو الملل .. كلّ هذا لا يسبرُ غورَ عدوّ جنسنا اللدود الذي لا يدّخر وسعاً في التنكيل بمُقتنى الدم الكريم ومفديّي الرب. إنّه يعيث في الأرض فساداً لا يدركه فهمُنا المحدودُ وعلمُنا المتواضع ولا يقدّم لنا الأسودَ كبديلٍ عن الأبيضِ الناصع فنعرف الفرق ونتجنّبه، إنّما يقدّم الأبيضَ المشوبَ بلمسة داكنة لا تدركها غيرُ عينٍ سليمةٍ خبيرةٍ مؤمنةٍ ويدسّ السمّ في العسل

حتى ننخدع ويجرّنا إلى الانتحار البطيء الذي لا نشعر بخطره كالدرن (السلّ) الذي قد يبدأ برشحٍ أو زكامٍ بسيط ثمّ يستفحل بالإهمال. ونحن كأطفال في الإيمان نشتهي اللبن الطبيعي البسيط العديم الغش، وهنا يتدخل ذكاء الشيطان وحقده على الجنس البشري فيوعز إلينا بإضافة قليل من السكر لجعل اللبن مقبولاً سائغاً،وتتزايد نسبة السكر مع الأيام إلى أن يصبح إدماناً يجرّنا إلى غيره من التردّيات والتعدّيات والتجاوزات التي توّرثنا التورّط والشطط.

وجرّ الشيطان الابن الأكبر إلى الجريمة مبكّراً الذي كان اسمه قايين ومعناهُ اقتنيت ابناً من عند الربّ وأضاع بفعلته الشنعاء أمل أمّه حوّاء في أن يكون هو المخلّص وأزاح الشيطان اللعين الابن، التقيّ والمؤمن بالخلاص عن طريق سفك الدم، وحده (هابيل). وعندما حلّ عليه قضاء الله بأن يهيم على وجهه، بذر بذور الشرّ أينما سار وحيثما حلّ وانتشر نسله العاصي في كلّ مكان فوجد الشيطان مرتعاً خصباً بين ذرية قايين فدرّبهم على العنف والقسوة وأخذ الأمور عنوةً حسب قانون التعدّي وحسب شريعة الغاب. أوعز الشيطان إلى هؤلاء المبتدئين أن يتّخذوا الفأس التي تعمل الأرض إلهاً لأنّها هي الفاعل القوي، وتدرّجوا إلى عبادة الأرض ذاتها لأنها هي المنتجة ثم إلى الشجرة المثمرة وإلى الماء الذي يروي كل نبات وإنسان وكلّ كائن حيّ إلى أن وصل إلى النار التي تحرق الشجرة بقوّتها، وبالطبع في النهاية عرف أنّ الشمس هي أقوى ما في محيطه وهي مصدر النار والحرارة والضوء ولها سطوة على الماء أيضاً فهي تحوّله إلى سحاب يتطوّر ويسافر إلى شتّى البقاع البلقع والأرض البور وبذا تدور الدورة الحياتية .. إذن فليعبد الإنسان الآلةَ الأشد فعلاً في الطبيعة إلا وهي الشمس التي صارت معبوداً في المجتمعات القديمة في معظم البقاع والأصقاع .. وصارت الشمس المعبود الأول في بلاد الصين واليابان والهند، وفي بابل وبلاد فارس وفي فينيقيا ومصر ومقدونيا والإمبراطورية البيزنطية، الرومانية الشرقية واتّخذت الشمس مسمّيات مختلفة في كل هذه البلاد .. فبينما هي رع أو آمون أو هيليو في مدينة أون (مدينة الشمس أو هليوبوليس) في مصر .. فهي عشتار في فينيقيا أو ..

اعتنق الإمبراطور قسطنطين الكبير حاكم الإمبراطورية الرومانية الشرقية ومؤسس مدينة القسطنطينية، المسيحيةَ سنة ٣٢١م ولأنّ نفوذه امتدّ غرباً لباقي الإمبراطورية الرومانية فقد فكّر بذكاء ودهاء لينضوي كلا المسيحيين غرباً والوثنيين شرقاً تحت لوائه في وئام تام. لذا أصدر

فرماناً يقول "من الآن فصاعداً، لا أحد يعمل في يوم الشمس العظيم الموقّر (Sunday). لقد غيّرنا العبادة من السبت إلى الأحد كرهاً في اليهود"، واستثنى من ذلك بعض المهن الضرورية للمجتمع كالخبازين. ورأى المسيحيون في هذا الأمر متنفساً لهم وهروباً من الاضطهاد فقبلوه عن طيب خاطر. ولكنّ قسطنطين ظلّ وفيّاً كعابد للشمس حتى وفاته.

نظرية انبثاق الحياة من الشمس

إنّه بدافع الغيرة الشديدة من ابن الله، الكائن الأزلي الوحيد الذي تصدّى للشيطان، عمل عدّو الله وعدوّ البشرية وعدوّ الخير على الإيحاء لبعض علمائه بأن يفترضوا حدوث تفاعل كيميائي هائل في الشمس في الأزمنة السحيقة ممّا تسبّب عنه وجود كائنات بدائية أدّت إلى انبثاق الحياة برمّتها على الكرة الأرضية التي يُفترض أنّها جزء من الشمس ذاتها. وبناء على ذلك درج الإنسان على توقير يوم الشمس (Sunday) في معظم الحضارات القديمة. بهذه النظرية التي لا تستند إلى براهين علمية تُذكر، يصرفّ إبليس فكر الناس عن الذي «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»، «الذي به صنع العالمين». بل نفثت الحيّة القديمة سمّها القاتل عندما اخترعت عقائد وملّل تنكرُ لاهوت المسيح وجاءت الطعنة النجلاء من خاصّته التي أشاعت التشكيك في نسبه وأصله واعتبرته لقيطاً لامرأة زانية شرّيرة!

النظرية الفلكية

دفع الشيطان بعض المفكرين إلى حشر يوم السبت تحت مسمّى (Saturday) نسبة لكوكب (Satern) (زحل) والأحد (Sunday) نسبة للشمس والاثنين (Monday) نسبة للقمر والثلاثاء (Tuesday) والأربعاء (Wednesday) والخميس (Thursday) والجمعة (Friday) وجميعها لكواكب المجموعة الشمسية، المريخ وعطارد والمشترى والزهرة وزحل إلى جانب الشمس والقمر. ولكنّ السجل المقدّس يدوّن أيام الأسبوع عند قصة الخليقة .. ومن الجميل أنّ المترجمين، للكتاب المقدس لم يرضوا بتسمية (Saturday) لليوم السابع، وكتبوا مكانها كلمة (Sabbath) ومعناها "راحة"في ٦٢ لغة مختلفة.

نظرية المصدر البابلي

أوعز الشيطان لأهل بابل القديمة، كما إلى بابل الحديثة الروحية (الفاتيكان) بتقليل أهميّة السبت المقدس حتى يطمس نظرية الخليقة ويهمّش دور المسيح كخالق وإلهٍ كاملٍ كلّي القدرة، كانت هذه النظرية من أكثر النظريات انتشاراً أواخر القرن التاسع الميلادي وهي تُرجع أصل السبت إلى الأصل البابلي، فقد اكتُشفَ في ذلك العصر عدد كبير من الألواح البابلية المكتوبة بالخط المسماري حيث جاءت كلمة «شبتوم» أي سبت راحة وكانت تشير إلى اليوم الخامس عشر من الشهر أي وقت «البدر الكامل» من الشهر القمري الذي كان مُستخدماً في بابل. إنّه بالرغم من وجود تشابه بين الرواية البابلية (Heidel) للخليقة وقصة الخلق في الكتاب المقدس إلاّ أنّها تختلف اختلافاً بيّناً عن سجلّ الوحي المقدس الذي يعطي كلّ المجد والسلطان والفضل للرب الإله الذي ليس عنده تغيير ولا ظلّ دوران. ولقد نجح الشيطان في إذكاء الشكَ عند الكثيرين في قصة الخلق في سفر التكوين والاعتقاد بأنّها مأخوذة عن الرواية البابلية.

نظرية العيد القمري

تزعُم هذه النظرية بأنّ السبت (اليهودي) هو بقايا عيد قمري قديم،إذ يرى أصحاب هذه النظرية أنّ لها أساساً في الكتاب المقدس فكثيراً ما يجمع النص الكتابي بين السبت ورأس الشهر (٢ ملوك ٢٣:٢٤؛ إشعياء ١٣:١؛ عاموس ٥:٨). ويرون أيضاً أنّ ما جاء في سفر اللاويين ١١:٢٣،١٥ يدعم هذه النظرية، فقد أمر الربّ بأن يحسبوا لخدمة الترديد من «غد السبت» وهو بناءً على التقليد اليهودي، «غد» أول يوم من أيام الفصح الذي كان يوافق دائماً يوم «البدر» أي يوم اكتمال القمر. إنّ كلمة «شبتوم» التي تقع في الخامس عشر من الشهر القمري (يوم اكتمال القمر) تقابل كلمة «سبت العبرية».

السجل الكتابي للسبت

بدأ تقديس يوم السبت بعد إتمام الخليقة في جنة عدن، فكلمة الوحي تؤكد أنّ الله نفسه هو الذي قدّس يوم السبت (اليوم السابع) بعد أنّ أُكمِلت السموات والأرض وكل جندها واستراح الله في اليوم السابع، لذلك بارك الله اليوم السابع وقدسه (انظر تكوين ٢:١-٣).

ومن تسلسل أيام الخليقة يأتي يوم السبت سابعاً وما جاء عن «السبت» لاحقاً يؤكد أزلية تقديسه. فالوصية الرابعة من ناموس الله تقول « اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ . سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ . لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ . لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا ، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ . لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ » (خروج ٢٠:٨-١١). إذن .. السابع هو السبت المقدس.

وما ورد في إنجيل مرقس ٢:٢٧ بأنّ «السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ لاَ الإِنْسَانُ لأَجْلِ السَّبْتِ » يثبت دون شكّ أن منشأ السبت يرجع إلى البدء وينشأ بنشأة الإنسان من بداية تاريخ البشرية. فمنذ ذلك التاريخ المبكّر، لم يكتفِ الربّ بأن يقدّم مثالاً لحفظ اليوم السابع، بل باركه وقدسه، أي أفرزه لراحة وخير وبركة الإنسان ولفائدته.

الشعب والسبت في سيناء

لأربعين سنة في البرية كان الربّ يقود شعبه بمعجزات وآيات عظيمة وأراد أن يثبّت أهمية السبت الأزلية ومكانته عند الله فبدأ يعولهم في البرية وينزّل عليهم المنّ السماوي ستة أيام بانتظام وبقدرٍ كافٍ لحاجة الجسد. عندما كان بنو إسرائيل في برّية سين صدر اليهم أمر الرب .. قال موسى للشعب أن يجمعوا في اليوم السادس ضعف ما كانوا يلتقطون كل يوم (خروج ١٦:٥). وعندما أخبر رؤساء الجماعة موسى، أنّهم نفّذوا أمر الربّ، قال لهم: هذا ما قال الربّ: «غداً عطلة سبت مقدس للرب» (خروج ١٦:٢٢،٢٣). وفي الغد أمر موسى الشعب أن يأكلوا ما احتفظوا به من الأمس لأَنَّ لِلرَّبِّ الْيَوْمَ سَبْتًا . الْيَوْمَ لاَ تَجِدُونَهُ فِي الْحَقْلِ . سِتَّةَ أَيَّامٍ تَلْتَقِطُونَهُ ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ ، لاَ يُوجَدُ فِيهِ » (خروج ١٦: ٢٥،٢٦) . ورغم هذا الأمر الإلهي الواضح، خرج بعض من الشعب في اليوم السابع ليلتقطوا فلم يجدوا، وهنا قال الرب لموسى: « إِلَى مَتَى تَأْبَوْنَ أَنْ تَحْفَظُوا وَصَايَايَ وَشَرَائِعِي ؟ انظروا: أَعْطَاكُمْ السبت، لذلك هو يعطيكم في الْيَوْمِ السَّادِسِ خبز يومين. اجلسوا كل واحد في مكانه، لا يخرج أحد من مكانه في اليوم السابع. فَاسْتَرَاحَ الشعب فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ» (خروج ١٦:٢٧-٣٠).

ويدلّ هذا الإجراء دون مراءٍ على أنّ يوم (السبت) كان معروفاً ومألوفاً عند الشعب قبل إعطاء الشريعة في سيناء حيث يتبيّن أنّ بني إسرائيل لم يصلوا إلى سيناء إلاّ في الشهر التالي (خروج ١٦:١؛ ١٩:١). هذا يدلّ دلالة قاطعة على أنّ أمر الرب لم يكن مفاجأة لهم وبخاصة في ضوء توبيخه تعالى لهم على عصيانهم لوصاياه وشرائعه، إذ يتضح من القرينة أنّ شريعة السبت كانت معروفة لهم ومؤسسة من قبل، إذ يقول لهم: «إِلَى مَتَى تَأْبَوْنَ أَنْ تَحْفَظُوا وَصَايَايَ وَشَرَائِعِي» (خروج ١٦:٢٨).

ومن منطوق الوصية الرابعة من ناموس الله الأزلي والبادئة بكلمة «اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ» (خروج ٢٠:٨). نعي جيداً أنّها لم تكن المرّة الأولى للأمر بحفظ اليوم المقدس، بل أنّ السبت كان مؤسساً منذ الخليقة ولكنّه نَسي وأهمل وفي مضمون الوصيّة يتبيّن سبب التقديس مقترنا بعملية الخلق ويتبلور الأمر جليّاً عندما نعتبرَ السبت كختم الخالق لأنه يذكر اسم الملك "الله" ولقبه "الصانع الخالق" ومجال سلطانه ونفوذه "السماء والأرض والبحر". وتحتلّ الوصيّة الرابعة المهملة موقعاً مركزياً بين وصايا الله العشر فهي تربط بين الوصايا المتعلقة بالواجبات نحو الله ومحبتنا له، وتلك المتعلقة بالواجبات نحو الإنسان ومحبتنا له أيضاً. ولا عجب فإنّ السبت وطّد العشرة بين الخالق والمخلوق عندما حفظا معاً ذاك اليوم المقدس لأول مرّة في جنّة عدن.

فحوى تقديس السبت روحياً

حيث أنّ «اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ» (مزمور ١٩:١)، فإنّ تكريس النفس للخالق يبلغ ذروته عندما يتأمل المخلوق في الطبيعة التي هي من صنع الخالق جلّ شأنه ويقضي خلوةً مع صانعه وجابله ليفيض قلبه شكراً وعرفاناً بفضله، وتقرّباً إليه والارتواء من نبع نعمته الفياض. فالسبت في جملته ليس فقط للراحة الجسدية وإنّما بالأولى للرياضة الروحية وللمتعة الأبوية البنوية.

الإلتزام من الجميع بحفظ السبت

كان حفظ السبت مطلوباً من جميع النفوس والبهائم داخل المحلّة .. السادة والعبيد والإماء والنزلاء والغرباء والبهائم وعند أبواب المحلّة من سائر الداخلين والخارجين وكان لزاماً على

الجميع أن يكفّوا عن العمل والتجارة والملذات العلنية وأن يخصصوا اليوم مفرزاً لتمجيد الخالق وعبادته وتجديد الطاقات الجسدية والذهنية ونموّ الملكات الروحية (خروج ٢٠:٨-١١؛ تثنية ٥:١٢-١٥).

وكانت عقوبة تدنيس السبت بإتيان أي عمل فيه هي الموت (خروج ٣١:١٤). ومثال على ذلك الرجل الذي وُجد يجمع حطباً في السبت، رُجم حتى لفظ أنفاسه (سفر العدد ١٥:٣٢-٣٦). ولم يكن السبت يوم خمول وكسل ولا يوم شغل وعمل .. إنّما كان لفعل الخير ولوجه الله ولتجديد العهد مع الله. وكان الكهنة يضعون خبز الوجوه على المائدة في القدس كلّ سبت ويشعلون الأسرجة ويقدمون تقدمة المحرقة الإضافية فضلاً عن المحرقة الدائمة وسكيبها (سفر العدد ٢٨:٩،١٠). وكان يعتبر عطلةً محفلاً مقدساً (لاويين ٢٣:٣). ورجوع الإنسان عن معاصيه وطرقه وعن عمل مسرّته ينتج عنه تلذّذ بالرب وركوب على مرتفعات الأرض ونيل طعام ميراث يعقوب، إشارة للسعادة الأبدية إن هو ردّ عن السبت رجله واعتبره مقدّس الرب مكرّماً (إشعياء ٥٨:١٣،١٤). كما رفع الأنبياء .. إرميا وحزقيال وعاموس احتجاجات دامغة على إساءة استخدام السبت المقدس (إرميا ١٧:٢١،٢٣؛ حزقيال ٢٢:٨؛ عاموس ٨:٤،٥).

دوام مفعول السبت في العهد الجديد

لقد أزاح الربّ يسوع الغشاوة التي وضعها رؤساء الطوائف اليهودية على السبت. لقد كانوا يضيفون تقاليد وممارسات تقيّد الناس وكانوا يحلّون لأنفسهم ما يحرّمونه على الآخرين. فبينما يتمّحك الفرّيسي والناموسي بحرفية الشريعة لدرجة أنّه يحرّم إطفاء السراج يوم السبت فيستدعي أجنبياً من المارّة حتى يطفيء له السراج وتُحسب عليه الخطية. في هذا التفكير العقيم والعداء العنصري يبرهن اليهودي على التزمّت والمراءاة في حفظه الشكلي السطحي للسبت، وبالأكثر عندما ينتقد ويدين أعمال الرحمة التي كان يقوم بها الربّ يسوع في السبوت. وعى تلاميذُ الرب يسوع الاثنا عشر (فقد أخذ بولس الطرسوسي مكان يهوذا الاسخريوطي) الدرسَ جيداً بلزوم تقديس السبت من المساء إلى المساء حسبما جاء في لاويين ٢٣:٣٢ كما وعاه رسلُ الرب السبعون لاحقاً. وها هو بولس الرسول العظيم يرسل برسائله إلى المؤمنين في الشتات كي

يخزنوا عندهم ما ينوون إرساله إلى أخوة الربّ في أورشليم من أول الأسبوع حتى يكون كل شيء جاهزاً عندما يمرّ بهم في طريقه إلى مدينة داود ليقضي عطلة نهاية الأسبوع والسبت المقدس بين المؤمنين هناك. بهذا الإجراء المنظم درّب ذلك الرسول الأمين المسيحيين الجدد على عادة الاستعداد مبكراً للسبت قبل يوم الاستعداد بزمنٍ كافٍ حتى يحافظوا على قدسية أطراف السبت. هنا تبرز حقيقة دامغة تدين أولئك الذين يُطلق عليهم اسم مسيحيين، الذين لهم صورة التقوى ولكنّهم منكرون قوّتها وهي أنّهم عندما سمحوا لأنفسهم بالتعدّي على شريعة الله، التي هي صورة لأخلاقه وكماله، وداسوا يوم السبت المقدس مُبدلينه بالأحد، لم يسيروا حسب النسق الإلهي لحفظ اليوم مقدساً من غروب الشمس إلى غروب اليوم التالي. يحسب الناس عموماً أنّ اليوم يبدأ من منتصف الليل وبهذا الإجراء فلا يلتزم إنسان قط على وجه البسيطة بحفظ ساعات الأحد. ولرّبما لأنّهم يعلمون يقيناً بعدم شرعيته فلا داعي إذن من التمسك بحدوده .. أو ليس هذا اعتراف منهم بخرق النصّ الكتابي وبعدم جدوى التمسّك بيوم لم يطلبه الله أصلاً؟! ألا يرنّ في آذانهم تصريح الوحي المقدس بأنّ «الرَّبُّ قَدْ سُرَّ مِنْ أَجْلِ بِرِّهِ. يُعَظِّمُ الشَّرِيعَةَ وَيُكْرِمُهَا» (إشعياء ٤٢: ٢١) ؟! ألا يدوّي في مسامعهم شهادة المسيح القائلة بأنّ «ابْنُ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضاً» (مرقس ٢:٢٨)؟!

السبت على قلب يسوع

السبت ذكرى زمنية. العبادة الحقّة هي الاستجابة الطبيعية لقلب شكور لمحبة الله وعطايا الخالق. إنّ أعظم عطية هي يسوع الذي عاش ومات وقام لأجلنا. إنّ موت وقيامة المسيح ليجعلان خلاصنا من الخطيّة والموت ممكناً. وقيامته تعطي الشرعية للمسيحية. ولقد أعطانا الله المعمودية ليذكرنا بقيامته (انظر رومية ٦:٣،٤). كتب بولس الرسول قوله «وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ» (١ كورنثوس ١٥:١٧)، ولكنّه أسس فريضة العشاء الرباني ليذكّرنا بموته «فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هذِهِ الْكَأْسَ ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ» (١كورنثوس ١١: ٢٦؛ لوقا ٢٢:١٩،٢٠). وكما خصّص الربّ يوم السبت ذكرى للخليقة في جنّة عدن، يدعونا في هذه الأيام الأخيرة من تاريخ العالم في رسائل الملائكة الثلاثة بقوله «وَاسْجُدُوا لِصَانِعِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَيَنَابِيعِ الْمِيَاهِ» (رؤيا ١٤: ٧).

فالرب يسوع هو الخالق الذي استراح في يوم السبت وتمّم به عمل الفداء على الصليب وجعله علامة تقديس بيننا وبين الله (حزقيال ٢٠:١٢،٢٠). إنّ فكرة يوم راحة مقدس أسبوعياً جاءت من عصر الخليقة. لم يُقصد بالسبت أن يكون لليهود وحدهم. إنّه أُفرز قبل كون أي يهودي بآلاف السنين. ولو أنّ الخليقة حدثت قبل سيناء بمدّة ٢٥٠٠ سنة لكان ذلك يعني مرور ١٣٠٠٠٠ سبت - ولو أنّها حدثت قبل سيناء بمدة ٤٠٠٠ سنة لكان قد مرّ ٢٠٨٠٠٠ سبت. فالسبت هو مفهوم مسيحي بالدرجة الأولى لأنّ المسيح هو الخالق الذي أفرزه وقدسه وهو معطي الشريعة على جبل سيناء وهو الذي أكرمه بفعل الخير فيه وهو المليك المظفّر والإله المّمجد الذي سوف نعبده طيلة دهور الأبدية في السماء الجديدة والأرض الجديدة كلّ يوم سبت (إشعياء ٦٦:٢٢).

صورة التقوى بدل التقوى الحقيقية

دأب أذكى مخلوقٍ، منذ عصيانِه الأول في السماء ونجاحه في إقناع ثلث الملائكة بنظريته التي تشفق على الطبقة المّميزة من المخلوقات النورانية وهم الملائكة من تطبيق شريعة الله السمحة عليهم، على رسم صورة مفتعلة مزوّرة للتقوى. ولقد سعى أن يوطّد هذا المفهوم المخادع ليس فقط بين المتمرّدين من الملائكة والبشر، وإنّما بين أقطاب المسيحية وزعمائها. وبدهائه الذي لا يُبارى فقد نجح في اعتلاء المنابر في الكنائس وتلقين كهنته بأضاليله المزينّة البرّاقة المغرية وإضفاء صفة الشرعية على ممارساتهم التقليدية البشرية مع إغراء الجماهير الغفيرة بالامتيازات الكبيرة والوعود الخلاّبة بأبدية سعيدة وغفران لخطاياهم ولخطايا أسلافهم وخطايا ذرّيتهم كذلك .. السالفة والحاضرة والمستقبلة وتثبيتهم بالأسرار السبعة لنيل الحياة الأبدية دونما عناءٍ أو التزام بحفظ الوصايا أو السير في القداسة .. ويكفي أن يأخذوا القداسة من القديسين والشفاعة من الشفعاء الأرضيين ويحظوا بالملكوت من فمّ الكهنوت أو الحرمان من جرّاء العصيان .. !! ويا ليته عصيان على الخالق ووصاياه، إنّما هو عصيان على المخلوق وتقاليده. وهكذا تحالف التنّين (الشيطان) مع الوحش (البابوية) على القضاء على التقوى الحقيقية ومخافة الله وطاعة وصاياه.

وجرّ التنّين (الحية القديمة) الذي هو إبليس الطوائف البروتستانتية المرتدة (النبي الكذاب) إلى مباراة وسباق مع بابل الروحية فأوهمها بعمل المعجزات الصورية ونشطت الأرواح الشريرة (الأرواحية) بما سمّيَ بالمدّ الكاريزماتي وأيّدهم الشيطان بالمعجزات الكاذبة والمخادعة فأدّعوا التكلّم بألسنة وترجمة الألسنة واخراج الشياطين والنبوّة الملفّقة وشفاء المرضى دون التزام بحفظ الوصايا أو النفس من الدنس وبلا توبة حقيقية واشتعلوا حماساً وانغماساً في الملذات والتقوا مع الكنائس التقليدية في التعاليم الخاطئة المنافية للوحي المقدس، كحفظ الأحد وخلود الروح والعذاب الأبدي، والخلاص في لحظة، وعدم هلاك المؤمن وعدم الحاجة لطاعة وصايا الله. وببطلان الناموس وبأكل اللحوم النجسة وشرب الخمر والتبرّج والخلاعة والأخذ بالملّذات والتردّي في الشهوات وإلغاء القوانين الأدبية والأخلاقية.

ولقد أصاب تحالف الثلاثة أرواح التي تشبه أرواح الضفادع وهي التنّين (الشيطان) والوحش (البابوية) والنبي الكذّاب (البروتستانتية المرتدة) نجاحاً عارماً مكتسحاً العالم ومسبغاً شتى الامتيازات لتابعيه ومتآمراً على الرب وعلى مسيحه وعلى البقية الباقية من شعب الله، الذين يحفظون وصايا الله وعندهم إيمان يسوع. ولكن الوعد الأمين مازال قائماً .. ذاك الذي يثبت إلى المنتهى فهذا يخلص.